المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 26-11-2007
الصفحـات : 12
العـــدد : 12582
المسلسل : 105

قراءة في زيارة ولي العهد لموسكو

حجر جديد في كيان 82 عاماً من العلاقات السعودية الروسية

كتب: المحرر السياسي

مثلت الزيارة التي قام بها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد ، نائب رئيس مجلس الوزراء ، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام ، لجمهورية روسيا الاتحادية ، خطوة مهمة في استراتيجية الدبلوماسية السعودية التي يقودها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في الوقت الراهن ، والتي تقوم على تعزيز الحوار والتقارب مع جميع بلدان العالم. ولعل هذه الاستراتيجية تعمل بشكل جاد على بناء علاقات متوازنة تحرص على التشاور وإرساء دعائم السلم والاستقرار الدوليين ، لا سيما مع القوة النافذة في العواصم العالمية المختلفة ، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً. ولعل جمهورية روسيا الاتحادية ، تمثل لنا في منطقة الشرق الأوسط ، محوراً مهماً من محاور القرار العالمي ، لا سيما في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي ، حيث كانت الدولة الروسية ، وريثاً سياسياً للاتحاد السوفييتي السابق، الذي كان القطب الثاني في السياسة العالمية ، وما مثله ذلك من تداعيات انعكست إيجاباً أو سلباً على مجمل التحرك العربي ، وتحديداً في قلب الصراع الذي لا يزال مستمراً حتى الآن.

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 26-11-2007
الصفحـات : 12
العـــدد : 12582
المسلسل : 105

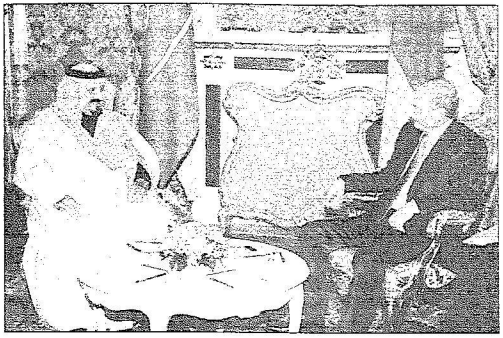

الأمير سلطان يستكمل محاور زيارة المليك قبل أربعة أعوام

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 26-11-2007 العـــدد : 12582
الصفحـات : 12 المسلسل : 105

من هنا ، يبرز الاهتمام السعودي الروسي المشترك ، خاصة عقب التغييرات الأخيرة ، والتي مثلت فيه زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حينما كان ولياً للعهد - إلى موسكو عام 2003 منعطفاً تاريخياً مهماً عقب سنوات من الجفوة السياسية ، حيث استطاع المليك - في أرفع زيارة لمسؤول سعودي - بناء جسور حقيقية من التعامل الإيجابي ، واستثمار موقع روسيا الحديثة من أجل مصلحة كل ما فيه مصلحة الشعبين الشقيقين.

نظرة على التاريخ

من المهم معرفة أن تاريخ العلاقات بين روسيا وجزيرة العرب يعود إلى عام 879م حينما افتتحت روسيا القيصرية (وقتذاك) قنصلية لها في الحجاز .. وكان الاتحاد السوفيتي السابق أول دولة في العالم تعترف بالكيان السعودي الناشئ في عام 926م بعد سيطرة الملك عبد العزيز على الحجاز.

وقد اختار الروس القنصل المسلم كريم خان حكيموف ليكون ممثلهم لدى الملك عبد العزيز لتتوالى بعدها المكاتبات السياسية بين الملك عبد العزيز والقادة الروس، ليبعث بعدها رئيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية كالينين خطابا إلى الملك عبد العزيز في 10 مايو سنة 1927م قال فيه : « يا صاحب الجلالة : إني وقد تلقيت رسالتكم الطليطية التي كان من المفروض أن يسلمني إياها نجلكم الأمير فيصل ، الذي كان في نيته أن يزور بلادنا أشاركم بسرور بالغ تمنياتكم التي أعربتم عنها بتحقيق أواصر الصداقة والحب بين شعوب الاتحاد السوفيتي والشعب العربي ، وآمل أن أتمكن في المستقبل القريب من رؤية نجلكم وناشبكم في الحجاز، في بلادنا، وأن أتمكن بواسطته من أن أنقل لجلالتكم وللشعب العربي مشاعر الصداقة والود تجاه رغبات الشعب العربي في الاتحاد الوطني والتقدم الاجتماعي التي تتمتع بهما شعوب الاتحاد السوفيتي. وأرجو من جلالتكم أن تتقبلوا تحياتي وأطيب تمنياتي ».

ونتيجة لهذه الاتصالات الودية قام الاتحاد السوفيتي في عام 1929م برفع مستوى التمثيل الدبلوماسي بينه وبين حكومة الملك عبد العزيز إلى مفوضية. وقد سمح الملك عبد العزيز بتدفق البضائع الروسية إلى جدة، وفي عام 1931م وقعت حكومة الحجاز مع منظمة التجارة السوفيتية اتفاقية يتم بموجبها توريد الكيروسين والغازولين.

وفي عام 1932 كان الأمير فيصل بن عبد العزيز أول مسؤول سعودي يزور موسكو للتباحث مع المسؤولين السوفيت حول العلاقات الثنائية لتزداد بعدها حركة التعاون والتبادل التجاري بين البلدين.. وبعد ست سنوات (1938) ونتيجة لرغبة السوفيت في تقليص حجم ممثليهاتهم في الخارج - كما قيل آنذاك - استدعت الحكومة السوفيتية بعثتها الدبلوماسية في جدة ، وقد ظلت العلاقات بين البلدين راكدة منذ ذلك التاريخ .. إلا أن طبيب السفارة رفض العودة وطلب اللجوء السياسي وتحول إلى طبيب خاص عند الملك عبد العزيز.

وبعد دخول الاتحاد السوفيتي الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء انصبت معظم اهتماماته على قضايا الحرب ومشاكل التسويات الإقليمية والحدودية التي رافقت هزيمة القوى النازية والفاشية في القارة الأوروبية. وبعد نهاية الحرب انكفأ الاتحاد السوفيتي إلى الداخل وركز على بناء قاعدته الاقتصادية والصناعية ولم يعر اهتماما بشؤون العالم الثالث إلا بعد وفاة ستالين في عام 1953م. وهو الأمر الذي أدى إلى ركود العلاقات بين البلدين.

ويقال إن الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف طلب في عام 1979م من كل من سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية « إبلاغ السعودية باستعداد الاتحاد السوفيتي لإقامة علاقات دبلوماسية معها واقترح عقد لقاء على أي مستوى كان وفي أي مكان يقترحه السعوديون ».

وحينما رأى الطرفان ضرورة استئناف العلاقات عادت العلاقات أفضل مما كانت عليه سابقا لاسيما عندما اتفقت الرؤية المشتركة لدى الطرفين بأن إقامة علاقات متوازنة مع الدول الكبرى هي أفضل وسيلة لتحقيق المصالح المشتركة ، خاصة أن المملكة استطاعت تحقيق هذه المعادلة دون أن تفقد مكانتها أو يخل بمصالحها وبسمعتها في المجتمع الدولي.

ومن الضرورة بمكان الإشادة بزيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود لموسكو في سبتمبر 2003م (عندما كان ولياً للعهد آنذاك) وما أعطته من دفع لمسيرة العلاقة والصداقة بين البلدين على كافة الأصعدة ، وما تبع هذه الزيارة من تبادل للزيارات بين قيادة ومسؤولي البلدين ، ليقوم الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في فبراير 2007 الماضي بزيارته التاريخية ، كأول زعيم روسي يزور المملكة.

اتفاق سياسي

كما هو معروف ، فإن العامل السياسي لعب دورين مزدوجين في مسار العلاقات السعودية الروسية ، أحدهما يتعلق بالداخل الروسي ، والآخر عام ، ارتبط بالقضايا الإقليمية والدولية.

أما الدور السياسي الداخلي فاتسم بارتباط المملكة في الساحة الروسية عبر القضية الشيشانية ، وظل هذا الموضوع المحور الرئيس في التعليقات السياسية لكثير من الكتاب ومحللي وكالات الأنباء الروسية ، وغاب في خضم الأحداث الإشارة إلى أي مواقف إيجابية سعودية على المستويين الإقليمي والدولي ، حتى قلبت زيارة الملك عبد الله لموسكو الموازين تماماً، وأدرك الروس تماماً مضمون ما أعلنه خادم الحرمين الشريفين وحديثه لوكالة الأنباء الروسية من وجوب حل المشكلة في ضوء قوانين الفيدرالية الروسية ، ليغلق ملفا أريك علاقات البلدين وفتح الأفق للفات عمل أخرى تتسم بروح التفاهم والمشاركة ، وقبل إقفال هذا الموضوع في هذا المقام أؤكد على أهمية قيام المملكة وروسيا بالتعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية بتنظيم مؤتمر تنموي لمعالجة الآثار السلبية التي لحقت بجمهورية الشيشان وشعبها الذي فاته كثير من مقومات التنمية البشرية والحياة الطبيعية بسبب الحرب الطويلة ، وأن يشتمل هذا المشروع على معالجة مشكلات البنى التحتية ، والتنمية الثقافية والعلمية ، والدعم المادي المباشر لعامة الشعب.

أما الدور السياسي العام فتمثل في الرحلات المكوكية التي قام بها كل من وزير الخارجية السعودي، ونظيره الروسي في لقاءات تشاورية بين موسكو والرياض ، في مجمل القضايا الإقليمية والدولية أوجدت نوعا من الانسجام في كثير من المواقف تجاه مجمل القضايا المعاصرة ، إلا أن المراقبين يتطلعون إلى لعب الدولتين أدوارا أكثر عمقا وفاعلية ، وأن يكون لموسكو حضورها القوي في القضية الفلسطينية باعتبارها عضوا في اللجنة الرباعية الدولية ، والتمسك بالخيار الشعبي الفلسطيني الديموقراطي لاختيار حكومته بعيدا عن الضغوطات والممارسات غير المسؤولة التي تقوم بها أطراف خارجية وأخرى داخلية خلقت الأجواء المشحونة التي فجرت الشارع الفلسطيني ، والحديث نفسه في الشأن العراقي وكذلك اللبناني ، والابتعاد بالمنطقة عن أجواء المواجهات العسكرية المحتملة سواء ضد سوريا أو إيران تحت أي مبرر، لاسيما أن المبررات التي سبق تقديمها للحملات العسكرية في المنطقة أثبت الواقع كذبها وأنها مختلقة لفرض أوضاع جديدة عادت بالمنطقة لدوامة الصراع

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 26-11-2007 العـــدد : 12582
الصفحـات : 12 المسلسل : 105

المتأجج ، وخلقت أجواء وبؤرا للإرهاب الدولي بكافة مستوياته وانتماءاته.

استنفار اقتصادي

الاقتصاد ليس عصب الحياة ، بل عصب الممارسة السياسية المعاصرة، ورغم التطور الجاري حالياً، إلا أن هناك حساسية ما لا تزال تلقي بظلالها على علاقات موسكو مع الرياض ، فالعنصر الاقتصادي غائب بشكل واضح ، وأرقام التبادل التجاري لا تزال في أدنى مستوياتها بالرغم من تأسيس مجلس الأعمال السعودي الروسي ، إذ لا يزال الطرفان رهن معوقات بيروقراطية وتنظيمية بعضها حقيقي والآخر وهمي ،

وسجل التبادل التجاري بين البلدين من عام 2000 إلى عام 2004 نموا من 70 مليونا إلى 7ر43مليون دولار، ورغم أنه يبدو للبعض أن هذه الأرقام متواضعة ولكنها تخفي وراءها جهوداً مضنية التي بذلها الدبلوماسيون ورجال الأعمال من الجانبين.

وعلى سبيل المثال أيضا كانت فكرة وجود الشركات النفطية والغازية الروسية في السوق السعودية تبدو خيالية للبعض قبل عدة سنوات. ومع ذلك نرى اليوم عددا من الشركات الروسية وفي مقدمتها (ستروي ترانس غاز) و(لوك أويل) تعقد صفقات طويلة الأجل مع السعوديين وتنشئ من أجلها مؤسسات مشتركة معهم.

وإلى جانب التعاون في مجال النفط الذي يحظى اليوم دون شك بالأولوية ذكر تلك المجالات الواعدة مثل الطاقة الكهربائية والري وتطوير السكك الحديدية.

وقد يبرز التعاون العلمي والتكنولوجي في المستقبل القريب إلى مكانة مرموقة وخاصة فيما يتعلق بالتكنولوجيات الرفيعة وغزو الفضاء الكوني. فاعتبارا من سبتمبر 2000 نقلت الصواريخ الحاملة الروسية إلى المدار الكوني ستة أقمار صناعية سعودية لتستخدم في مجال الاتصالات واستشعار الأرض عن بعد.

ومما يشهد بحيوية الحوار بين البلدين وبالدرجة الأولى الحوار الاقتصادي وجود نية لدى روسيا الاتحادية والمملكة العربية السعودية لإقامة خط جوي مباشر بين العاصمتين مما كان سيخلو من أي معنى اقتصادي لو لم تكن الاتصالات بهذا القدر من الكثافة. أضف إلى ذلك أن الرحلات الجوية المباشرة بين موسكو والرياض سوف تساعد على التبادل السياحي بين البلدين وعلى زيادة عدد الحجاج من بين مسلمي روسيا.

بيان ختامي

ربما يكون الاتفاق السياسي والتناغم في الرؤى والأفكار حيال المستجدات ، أبرز ما حمله البيان الختامي للزيارة ، والذي عمق مفهوم نجاحها بشكل لافت للأنظار، مما يعني استكمالاً مهماً لما بدأه المليك قبل أربع سنوات.

فالبيان الختامي حمل رضا الجانبين عن التطورات الملموسة والجيدة التي تحققت على صعيد العلاقات الثنائية على مختلف المستويات وأعربا عن توافق وتقارب وجهات النظر حول عدد من المسائل الثنائية والإقليمية والدولية حيث أعرب الجانبان عن رغبتهما الأكيدة في تعزيز الحوار السياسي الرفيع المستوى بينهما.. إضافة لمواقف محددة حيال القضايا الشائكة ، سواء تلك المتعلقة بعملية السلام أو بالوضع في لبنان والعراق.. والملف النووي الإيراني.

وأشار البيان إلى الجهود المبذولة لمكافحة الإرهاب وشددا على إدانتهما للإرهاب بكافة أشكاله ، باعتباره خطراً يهدد السلم والأمن والاستقرار في العالم .

واتفقا على أهمية توحيد جهود المجتمع الدولي لمكافحته ورفع درجة التنسيق والتعاون في هذا الخصوص وأعاد الجانبان التأكيد على التزامهما الراسخ باتفاقيات الأمم المتحدة المتعلقة بالإرهاب وبقرارات مجلس الأمن ذات الصلة ، والترحيب بدخول الاتفاقية الدولية لمكافحة أعمال الإرهاب النووي حيز السريان والإقرار باستراتيجيات مكافحة الإرهاب العالمية من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وفي هذا الإطار فقد ثمنت روسيا الاتحادية اقتراح خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بإنشاء مركز دولي لمكافحة الإرهاب.

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 26-11-2007 العـــدد : 12582
الصفحـات : 12 المسلسل : 105

الزيارة بعيون روسية

الكسندر سلطانوف

بوريس غريزلوف

ميخائيل كامينين

«تؤكد هذه الزيارات رغبة الطرفين في إحداث نقلة نوعية تتجاوز فيها علاقاتهما مرحلة العلاقات الدبلوماسية العادية إلى مرحلة جديدة تكون فيها هذه العلاقات أوثق، وذات أبعاد استراتيجية تخدم مصالحهما الوطنية والإقليمية والدولية (.....) إن زيارة الأمير سلطان تسمح للرياض وموسكو بالمساهمة في مواجهة التحديات التي تفرضها طبيعة التطورات والمتغيرات في السياسة الدولي».

× رئيس مجلس الدوما بوريس غريزلوف :

«إن الارتقاء بمستوى العلاقات السعودية الروسية وشمولها لتغطي المجالات كافة يؤسس لأرضية صلبة يمكن البناء عليها بحيث تخدم هذه العلاقات الأهداف الاستراتيجية للبلدين في المحيط الدولي والمتمثلة في رؤاهما المشتركة حول ضرورة وجود نظام دولي يقوم على التعددية القطبية والتعاون بين الحضارات بدلا من صراعها الذي تعمل عليه قوى دولية أخرى، وسيادة القانون الدولي، وحل النزاعات الإقليمية الدولية بالطرائق السلمية».

× الكسندر سلطانوف نائب وزير الخارجية، المندوب الخاص للرئيس الروسي لشؤون الشرق الأوسط

«إن دخول المملكة مع روسيا في مشروعات تجارية أو استثمارية أو عسكرية كبيرة هو المدخل الأنسب للتأسيس لعلاقات وثيقة بين البلدين في المجالات كافة، ولتبديد أية شكوك حول الأهمية التي توليها المملكة لعلاقاتها بهم، (....) ولاشتراك البلدين في مصلحة استراتيجية مهمة تتعلق بكونهما منتجين رئيسيين للنفط والغاز، وهما عنصران مهمان لهما، وحاجتهما إلى التنسيق في مجالات الإنتاج والأسعار لحفظ مصالحهما في سوق النفط العالمي، فإن توثيق العلاقات بينهما اقتصادياً وتجارياً يسهل عملية التنسيق، ويوجد الثقة المطلوبة بينهما بشأن سياساتهما النفطية».

ضامر عزاتولين النائب الأول لرئيس الإدارة الدينية لمسلمي الشطر الأوروبي من روسيا

«مطلوب الآن إيجاد إطار مؤسسي غير رسمي يجمع الخبراء والمعنيين بعلاقات البلدين من المملكة ومن روسيا لمناقشة القضايا كافة المرتبطة بعلاقات البلدين وتقديم توصياتهم للجهات الرسمية القائمة على أمر العلاقات بين البلدين، وهذه التجربة تعمل فيها روسيا مع إيران، ومع عدة دول من خلال مراكز البحوث والدراسات، لأن مثل هذه الأطر تسمح بتوفير البيئة المناسبة لطرح مختلف المواقف والمسائل التي تعوق تطوير علاقاتهما، ومناقشتها، وطرح كيفية التعامل معها دون التزامات رسمية».

ميخائيل كامينين المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الروسية

«إن الزيارة امتداد لعمق العلاقات السعودية الروسية وتناميها في مختلف المجالات.. واعتبر أنها ستعزز مسيرة التعاون بين البلدين».

القنصل الروسي في جدة أمير باشا

«تعتبر المملكة العربية السعودية واحدا من أهم شركاء روسيا في منطقة الشرق الأوسط الكبير وفي العالم الإسلامي بأسره، وتأتي زيارة سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز لتحمل العديد من ملفات البحث والتعاون للوصول إلى رؤى مشتركة حول تعزيز العلاقات بين البلدين وتوثيق هذه العلاقة الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ عندما بدأت قبل أكثر من ثمانية عقود».

د. سيرجي إيفانوف أستاذ العلوم السياسية في جامعة موسكو

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 26-11-2007
الصفحـات : 12
العـــدد : 12582
المسلسل : 105